جامعة الانبار المحاضرة: االثانية
كلية الاداب المرحلة : الثانية
قسم الجغرافيا مدرس المادة: أ.م. د. آمنة جبار مطر

تطور النقل في وادي الرافدين

كان العراقيين القدماء دور بارز في التطور الحضاري لوسائل النقل، فمنهم من توصل الى اختراع العجلة وبناء العربات كما انهم اول من استخدم السفن الشراعية لأغراض النقل المائي، وحتى تكون لدينا فكرة واضحة عن تطور النقل في وادي الرافدين فنستعرض النقل المائي والبري كل على حدة:

1- النقل المائي:

أسهمت الظروف الطبيعية السائدة في القسم الأوسط والجنوبي من العراق دوراً بارزاً في تشكيل الكثير من الخصائص الحضارية للحضارة التي قامت فيه، والأرض الفيضية والتربة الرطبة وتوفير المياه من الرافدين كلها عوامل دفعت الجماعات في هذا الجزء من العراق القديم الى التوجه نحو النهر والارتباط به:

1- قدم نهر الفرات بسخاء مادة غذائية رئيسة لسكان العراق منذ أقدم العصور تتمثل بالثروة السمكية.
2- أسهمت الثروة السمكية فضلاً عن توفرها أسهمت بشروط الاتصال بين المناطق المختلفة.
3- أسهمت في ربط شبكة واسعة من الطرق السهلة والجيدة، ولعل هذا الامر يتمثل في المدن القديمة وحتى الحديثة تتركز قرب ضفاف الأنهار.
4- أسهمت الطبيعة توفر الطرق الجيدة ودون تكاليف في انشائها او صيانتها كما هو الحال في الطرق البرية، هذا أسهم كونه عاملاً مشجعاً على ازدهار التجارة وتطورها في العراق القديم.

خصائص وسائط النقل المائية في بلاد الرافدين:

1- زيادة قدرة النقل المائي على حمل الاوزان الثقيلة والتي لا تستطيع وسائل النقل البري القديمة نقلها.
2- اتساع شبكة الأنهار والقنوات الاروائية في العراق القديم نتيجة لزيادة الاهتمام بالأراضي الزراعية وفرت إمكانية كبيرة لاستغلال كل تلك القنوات والانهر لأغراض النقل المائي والتي بالمستطاع استخدامها على مدار السنة عكس النقل البري القديم والتي تؤدي ظروف البيئة شتاءً دوراً مؤثراً في عرقلة الاستفادة منها بسبب الطمي والفيضان.
3- تركز القسم الأكبر من مراكز التجمعات السكانية على امتداده ولا سيما في الجزء الأوسط والجنوبي من العراق.
4- يشكل نهر الفرات بسبب طوله وصلاحيته الكبيرة للنقل النهري طريقاً طبيعية ربط بين بلاد الرافدين بالأقاليم المجاورة، فهو يعتمد شمالاً وشمال غرب حتى

يقترب من مناطق الجبال اللبنانية إذ وجد العراقيون عندها ضالتهم من المواد الأولية كالأخشاب والاحجار والمعادن.

5- انعطاف النهر في أقسامه العلوية نحو الغرب تقلل المسافة الأرضية بينه وبين البحر المتوسط، كان حلقة وصل جيدة للنشاطات التجارية في البحر المتوسط وتم الإبحار عبر منطقة الخليج العربي وصولاً الى سواحل جنوب القارة الاسيوية.

خصائص وسائل النقل المائية القديمة:

1- التخصص في صناعة السفن لدرجة ان ظهرت أنواع مختلفة بعضها عن بعض من حيث الوظيفة والشكل والطاقة الاستيعابية، وتذكر الدراسات التاريخية ان هناك أكثر من (40) نوعاً من السفن.
2- السفن تستخدم لنقل المسافرين وأخرى لنقل السلع والمنتجات وسفن تستخدم للأغراض العسكرية وسفن الاحتفالات الرسمية وسفن الإنقاذ وسفن العبارة التي كانت تختص بنقل الأشخاص بين ضفتي النهر.
3- تصنف السفن نهرية وسفن بحرية وسفن شراعية او غير شراعية وسفن ذات مجاذيف أي التي تسير عكس التيار، كانت السفن تدخل الفرات من الخليج وتكمل مسيرتها في نهر الفرات وصولاً الى ماري (تل الحرير عند الحدود العراقية – السورية) والى أستور على نهر دجلة.
4- استخدم العراقيين وسائل نقل مائي عديده منها (القفة) وهي نوع من وسائل النقل القديمة تشبه السلة المدورة التي يستعملها العمال لحمل الترب والآجر على رؤوسهم، وهي سلة من اغصان مدببة وذات قعر منبسط وغير عميق جداً وكان القعر يغطى بالجلود ويغلق بنسالة الكتان وقطع الصوف تضغط جميعها بشدة وتمتزج بالطين الرقيق والقار الذي يضمن عدم تسرب الماء خلاله وكان القارب يحركة رجل او رجلان بمجاذيف قصيرة، وهناك بعض القفف التي كان يديرها أربعة اشخاص إذ يقابل كل زوج من أصحاب المجاذيف الزوج الاخر وقد انتقلت فكرة صناعة القفف من العراق الى الهند والصين وأوربا مع ملاحظة اختلاف المادة المستخدمة في الصناعة.
5- من وسائل النقل المائي الأخرى التي استخدمت بشكل واسع في الجزء الشمالي من العراق القديم (الكلك) وأقدم ظهور له في العصر الاشوري الوسيط (1300-900ق.م) وهي على ثلاثة أنواع: النوع الأول يتمثل بالأكلاك الخشبية، والنوع الثاني يتمثل بالا
6- كلاك المصنوعة من القصب والبردي اما النوع الثالث فيتمثل بالأكلاك الجلدية التي تصنع من نفخ جلود الحيوانات القرب، وهذه تستخدم للانتقال من الشمال الى الجنوب مع مجرى النهر اذ كانت تعاد للشمال على ظهور الحيوانات بعد وصولها الى نهاية الرحلة وكانت تلك الاكلاك متباينة في اتساعها اذ يتراوح اتساعها ما بين (10-50)قدم^2 وكانت عدد القرب التي تعتمد عليها تلك الأكلاك متباينة ايضاً تتراوح ما بين (50-100)قربة من جلود الخروف او غيرها من جلود الحيوانات مع ملاحظة ان القفف والأكلاك لا تزال يستعملها البعض حتى الوقت الحاضر.

- اصالة العراقيين القدماء ودورهم الحضاري في النقل المائي تبدوا واضحة من ان كلمة سفينة المستخدمة في اللغة العربية هي بابلية الأصل ترجع الى القرن السادس ق.م، وتلفظ (Sapinatu) والشيء نفسة يقال عن كلمة (ملاح) السومرية الأصل والمتكونة من كلمتين هما (ما) وتعني قارب و(لاح) ويعني يدفع، وهي تسمية للعمل الأصلي الذي كان يقوم به الملاح في مناطق الاهوار فإذا هو دافع القارب[1]

اما فيما يختص بحمولات السفن في العراق القديم فكانت متباينة فاكبر السفن المستخدمة لنقل المواد والبضائع التجارية بلغت سعتها (120)كورا أي ما يعادل (12)طناً بمقاييسنا الحالية اما عن سعة السفن فكانت تتراوح ما بين (5-120)كورا واكثر السفن استخداماً هي التي كانت حمولتها (60) كوراً* (6 أطنان)

2- النقل البري:

يعد النقل البري من اقدم أنماط النقل الذي عرفه الانسان، ان تنقل الانسان على قدميه ونقله الحمولات تعد في الواقع بداية للنقل البري البدائي، كان النقل يتم عبر الطرق التي هيأتها الطبيعة ثم تطورت الوسيلة الى نجاح الانسان في استخدام الحيوانات لأغراض النقل وذلك لقدرته على نقل حمولة اكثر ولمسافة ابعد وذلك راجع الى الخصائص البيولوجية واستناده على أربعة قوائم مما يساعد على حمل اوزان اثقل.

ويرتبط استخدام الانسان للحيوانات في النقل بمعرفة الزراعة واستقراره ونجاحه في استئناس بعض الحيوانات.

ويعد العراقيون القدماء اول من استخدموا الحيوانات لأغراض النقل ومن اهم تلك الحيوانات الحمير والبغال.

وتؤكد الدراسات التاريخية بان تجارة العراق الخارجية مع بلاد الاناضول في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد استفادت من الحمير في نقل المعادن والمنسوجات بين آشور وكانيش (كول تيه) وغيرها من المراكز في بلاد الاناضول. كما استخدم في النقل بين مدن الفرات والمدن السومرية الداخلية ومنها الساحلية كما كانت قوافل الحمير تنقل التجارة من بلاد بابل الى مدن الشام او من خلالها الى الاناضول.

- استخدم العراقيون القدماء (البغال) والإبل لأغراض النقل البري وقد عرف الابل بحدود الالف الرابع ق.م.

كان لاستخدامها دور بارز في زيادة مدى التجارة الخارجية للعراق إذ انه ساهم في زيادة المبادلات التجارية بين العراق والجزيرة ومناطق العالم القديمة وذلك يرتبط اصلاً بقدرة الإبل على حمل الاوزان الأكبر ولمسافات أبعد مقارنة بحيوانات النقل البري الأخرى.

---

[1] - رضا جواد الهاشمي، الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين، مجلة سومر، المجلد 43، ج1-2، 1981، ص37.

*الكور يساوي (252.6)لتر.

اما الحصان فان المخلفات الاثرية في العراق القديم لا تشير الى استخدامه للأغراض اليومية قبل الالف الثالث ق.م وقد انتشر استخدامه في المدة التي حكم بها حمورابي ثم اخذ بعد ذلك يستخدم في جر العربات، وان استخدامه كان مقتصراً بدرجة كبيرة للأغراض العسكرية، اما استخدامه للأغراض التجارية محدوداً.

- مساهمة العراقيين القدماء في تطور النقل البري:

1- اختراع العجلة، فسكان الوركاء عرفوا العجلة وطريقة استخدامها للنقل وكان ذلك في حدود (3500ق.م)
2- تؤكد الكتابات التاريخية بان اقدم أنواع العربات كانت من ذوات الأربع عجلات والمصادر المسماريه وغير المسمارية تؤكد حقيقة ذلك، وبعد مدة قصيرة من ظهور العربة ذات الأربع عجلات ظهرت العربة العربة ذات العجلتين.
3- استخدمت العربات القديمة لأغراض عديدة وظهرت أنواع كثيرة منها فهناك عربات لنقل البضائع وعربات لنقل الأشخاص وعربات الاحتفالات ثم عرب الحرب وهي ذات هيكل ثقيل وواسع وعجلات مدعمة بصفة خاصة، ثم ان هناك عربات الاحتفال وعربة الملك وأشهرها عربة (آشور بانيبال) وقد صنعت العربة بصورة متقنة فعجلاتها غلفت بالحديد لتحول دون اندثارها، كما صنعت بشكل ابعد الى الخلق تحت الهيكل في سبيل التقليل من الاهتزاز، ولعل أعظم مظهر مثير للعربة الملكية هي المظلة التي تظلها.

وهناك عربات مخصصة للإلهة، إّ ان لكل ألـه عربة خاصه فهناك عربة للإله (أنليل) وأخرى للإله آشور وغيرها، ومن العربات الأخرى التي كانت أهمية خاصة في حياة العراقيين القدماء هي العربات التي تستخدم نقل البريد والاخبار، ولهذا النوع كان بعجلتين على غرار العربات الحربية السريعة الحركة.

اما فيما يختص بعدد الحيوانات التي تربط على العربات فكان عددها يتراوح ما بين (2-4) وان الحيوانات التي كانت تستخدمها لسحبها هي الحمير والبغال والخيل.أسهم استخدام العربات للنقل كان حافزاً دفع العراقيين القدماء الى التفكير في تشييد طرق توفر انسابية اكبر في حركة العجلات عليها وتدل الشواهد التاريخية على ان اول طريق مرصوف في التاريخ هو الطريق الذي يربط المعبد بالقصر في بابل وتل اسمر الا ان امتدادات تلط الطرق لم تصل الى نفس درجة امتداد واتساع الطرق الرومانية وكانت الطرق مزودة بالواح تبين الاتجاهات وكانت تعرف (دليل المسافر والسائح) إذ كانت تعطي المسافة بين مدينة وأخرى والزمن اللازم للرحلة.

- كان وجود نظام مواصلات كفء اساساً للأمن وسير العمل في الإمبراطورية، كما ان الحكام المحليين كانوا على اتصال دائم بالمراكز الحكومية كما كان موظفو المدينة على اتصال مستمر مع حكام مقاطعاتهم ومع الحكومة عند الضرورة وكانت تلك شرايين الإمبراطورية الرئيسة وعلى الرغم من انها كانت طرقاً منظمة فقط وليس طرق معبدة حسب المفهوم الروماني، فقد كانت محدودة الى درجة انها استخدمت لتمديد الحدود مع المقاطعات، كما كانت معدلة الى درجة تسمح بمرور الجيوش الكبيرة ترافقها العربات بسرعة.

- كانت هناك محطات بريد تحت حراسة القوات الحكومية وعلى مساحة رحلة يوم (20-30ميل) بين الواحدة والأخرى، كان يتم في المحطة تبديل الخيل والبغال لكي يستخدمها الرسل للمحطة الثانية